



عمالة مصطفى البرزاني وأكاذيب هنري كيسنجر

منشورات 2003 الطليعة

الدكتور منذر الموصلي



عمالة مصطفى البرزاني وأكاذيب هنري كيسنجر

منشورات
الطليعة العربية في تونس

تونس - 2003

اللعبة الأميركية والحكاية المأساة بكاملها
«كيسنجر والبارزاني»

يسجل التاريخ بأن ملا مصطفى أشهر السلاح وتنكر لإتفاقية ١١ آذار بتحريض أجنبي ثم ألقى السلاح عندما خذله الأجنبي وتخلى عنه حتى مات كمداً وأسىً وندماً ناقداً نفسه بشجاعة تحسب له كما ذكرنا من سابق .

نحن هنا لا نقدم جديداً عندما نتحدث عن استجابة ملا مصطفى لاغراءات الامبريالية الأمريكية وتجاوبه مع تحريض شاه إيران محمد رضا بهلوي للإنقضاض على إتفاقية ١١ آذار وتقديم مطالب تعجيزية لحكومة بغداد على سبيل التغطية قبل مباشرته رفع السلاح . ولولا التحريض الأمبريالي لما كان للملا أن يلجأ إلى السلاح أبداً بل إلى مواصلة لغة الحوار من أجل تطوير التجربة وتعديل بعض البنود إن أمكن في الاتفاقية التاريخية من دون التنكر لها وخذلانها قبل أن تأخذ دورها المرسوم .

نحن نقول استطراداً بأن الملا كان بطبعه ومنذ بداياته أميل إلى المغامرة وحمل السلاح . هكذا بدأ وهكذا استمر وهكذا أراد أن يختم حياته ومرحلته ، ولم يكن الإصغاء للخارج من الأمور الجديدة عليه . لكنه هذه المرة تعاون مع الرأس الامبريالي مباشرة من دون الأجراء الصغار . كان هنري كيسنجر وزير الخارجية الامريكي الالماني الأصل اليهودي الانتماء في مركز الأستقطاب ينشط ويلمع أسمه وتترسخ «مبادىء» مدرسته في التعاطي مع خريطة العالم النامي ، وقد عز عليه جداً وآلمه حتى الوخز اليومي ماآلت إليه الأمور في منطقة الخليج . إن هدوء الأوضاع في كوردستان معناه أن اسرائيل لم تعد مرتاحة فكثر قرعها على الباب الامريكي ذلك لأن هدوء الأوضاع في العراق يعني تفرغ هذا البلد الضخم الأمكانات للتنمية وتطوير الاقتصاد وتدعيم وضعه العسكري وتعميق التآخي بين جماهيره ، وهذا شيء مرفوض في المخطط الامبريالي . فما العمل؟ . إنه ملا مصطفى البارزاني ولا أحد غيره على الاطلاق يمكن أن يخلط الأوراق بعض الشيء ويشوش على بغداد . ولم يكن مطلوباً منه أكثر من هذا الدور ، فلا واشنطن في وارد العطف على الأكراد ولا اسرائيل ، فالكل ضد العراق وضد أكراده ولا يملك أحدهم إلا ورقة الملا على الساحة .

هذا يقود إلى القول بأن إخواننا الأكراد يريدون أن يقفوا جسماً حياً له حق الحياة الحرة الكريمة متمتعاً بكامل حقوقه القومية متطلعاً إلى وحدة وطنه . . . يريد الأكراد هذا كله

لكنهم لم يتوصلوا بعد إلى إكتشاف أسباب جمود قضيتهم وانكفائها خطوتين إلى وراء كلما تقدمت خطوة إلى أمام . إن المبحث الذي نكتب ونؤرخ فيه الآن يشكل أحد أبرز عناوين بعض هذه الأسباب وأهمها . فالتاريخ الكردي يعج بقصص الاستقواء بالأجنبي وليس بالحليف الذي يعطف على قضية الأكراد وحقوقهم القومية . إن التعامل مع كيسنجر ومع أشباهه يأنف منه كل كردي مخلص واع لأنه يتنافى مع أخلاقه ووطنيته ونوازعه القومية والروحية لذلك سقط جميع المتعاملين مع الأجنبي والضالعين في التآمر معه ضد العراق وضد العروبة في العراق . . . وهو التآمر الذي ينعكس بالضرورة على الأكراد وقضية كوردستان . فهل ربح البارزاني أو حصل من كيسنجر أو غيره أكثر مما ربحه وحصل عليه من بغداد؟ . لو حصل على ماهو أفضل لعذرناه . ولعل قصة البارزاني مع كيسنجر والشاه أشد مرارة من كل المآسي والفواجع وصور التعاطي مع الأجنبي في تاريخ الأكراد .

وقفة مصارحة مع تاريخ البارزاني

كتب الصحافي والكاتب العربي المصري المعروف أحمد بهاء الدين تعليقاً هاماً على هذا الجانب المأساوي من حياة ملا مصطفى وتورطه في التنكر لإتفاقية ١١ آذار وعودته لرفع السلاح بتحريض أمريكي - كيسنجري(*) . . . كتب يقول تعقيباً على وفاة ملا مصطفى :

«وفي هذه الأيام بالذات ، إذ تتوالى التفجيرات في عدد من البلاد العربية في الشرق الأوسط ، وتقفز إلى السطح توترات وأزمات بين جيران كنا نظن أنهم سوف يتعايشون ، وأخطرها التوتر بين إيران والعراق ، وإذ نفاجأ بعودة «قاموس» كلما حسبنا أنه طوي ووضع على أحد رفوف التاريخ ، وجدنا يداً مجهولة تمتد إليه ، وتنفض عنه الغبار ، وتعيده إلى ذاكرة الجميع : مسلم سني ، مسلم شيعي ، الزيدية ، العلوية . . فضلاً عن الحرب المستمرة في لبنان متسترة تحت عناوين «المارونية والمحمدية» وأيضاً إذ يتصاعد الحديث عن حقوق الأقليات . . إلى آخره . . في هذه الأيام التي يتفجر فيها كل هذا ، أجد أن الحاجة ماسة للعودة إلى قصة قريبة دامية ، قصة الملا مصطفى البرزاني ، ليس لأنها أهم الحركات ، ولا لأنها فريدة في عالمنا الذي هو بأغلبيته مسلم وعربي . ولكن لأنها قصة إكتملت صفحاتها ، ونشرت أسرارها ، وتمت مرحلتها بهجرة الملا البرزاني ، ثم بوفاته في إحدى مستشفيات الولايات المتحدة الأمريكية(**) . .

(*) «لذلك نرى المسألة الكردية يراد منها أن تبقى متفجرة مادامت مصالح القوى الاستعمارية والقوى الرجعية في خطر» - صادق الحسيني - «السفير» اللبنانية ١٩٧٩/٩/٢٣ .

(**) توفي الملا في مستشفى جورج تاون في أميركا عام ١٩٧٩ .

ولن أسرد قصة البرزاني كاملة ، ولكن يكفي الوقوف عند مرحلتين في حياته ، لنرى منهما العبرة التي نريد ، وهي أين نحن وأين الأيدي الخارجية؟ . .

لقد كان البرزاني ثائراً مستمراً في العراق في عهد نوري السعيد فلما تم قهره عسكرياً وكانت المنطقة كلها تحت القبضة الانكليزية المباشرة ، هاجر برجاله إلى الاتحاد السوفياتي .

وبعد أجيال . . . كان عبد الكريم قاسم على رأس الحكم في بغداد . وأعلن قراراً مدوياً بالسماح للبرزاني بالعودة مع رجاله من الاتحاد السوفياتي إلى العراق . وهلل الشيوعيون – المغمضو العيون – بعودته .

وقالت الدعايات الغربية أنه حصل على رتبة جنرال في الاتحاد السوفياتي .

وكان عبد الكريم قاسم يعرف غير ذلك(*) . . .

كان قد وجد أن المد القومي الوحدوي صار طاغياً في العراق . وكان يريد إضعاف هذا التيار بالتدريج . فدعا البرزاني للعودة ، حتى يفتت وحدة حركة الشعب العراقي كله . ونجح بنفس الوسائل مع فئات أخرى إلى قسم الشعب العراقي وإلى بدء سلسلة المذابح الداخلية ، حتى أبعدَ العراق عن الوحدة ، وشارك في الإجهاز على وحدة سوريا ومصر . وكان ماكان . واستمر الوضع المقسم المتناحر في المنطقة ، كما أراده الانكليز . . .

ويومها اشتبكنا مع الكتاب الشيوعيين التقليديين . . يقولون أن قاسم ديموقراطي وتقدمي وينادي بالمساواة بين القوميات . . . ونقول لهم أنه ينفذ سياسة الانكليز في التفريق والتمزيق ليسود . . . وإن الحديث عن الأقليات «حق يراد به باطل» . . ولم يصدقوا حتى علق لهم قاسم المشانق في أنحاء العراق! .

والمرحلة الثانية – الأهم في مجال حديثنا – هي بعد ثورات البرزاني الجديدة . ثم بعد الاتفاق التاريخي بينه وبين الرئيس صدام حسين حول الحكم الذاتي الكردي ، الذي

(*) نحن هنا نخالف الكاتب العربي أحمد بهاء الدين رغم صوابية تحليله للأحداث . ففيما يتعلق بعودة ملا مصطفى للعراق لم تكن عودته نتيجة مبادرة عبد الكريم قاسم . بل في ظل مناخ ثورة ١٤ تموز – يوليو – عام ١٩٥٨ وما انبثق عنها من معطيات وطنية وشعارات إنسانية أتاحت العودة لكل عراقي منفي إلى بلاده معززاً مكرماً . . . وربما استغل قاسم الملا البارزاني فيما بعد أي أستغل عودته لمآرب أخرى كان يضمرها . ولم يحصل الملا على رتبة الجنرال من السوفييت بل من حكومة مهاباد الكردية في إيران عام ١٩٤٦ .

أعطتهم فيه بغداد كل حقوقهم القومية . فلما جاءت ساعة تنفيذ الحكم الذاتي ، أعلن البرزاني الحرب من جديد . . .

يتابع بهاء الدين قائلاً :

وبعد هزيمة البرزاني وهجرته نهائياً ، نشرت جريدة «الصنداي تايمز» الانكليزية النصوص الرسمية لبرقيات بين البرزاني وهنري كيسنجر ، وزير خارجية أميركا وقتها ، تدمى لها القلوب! .

لقد ظهر أن البرزاني كان قد أصبح وثيق الصلة بأميركا ، وإنه تلقى المساعدات منها ومن اسرائيل . . .

وحين أقترب موعد تطبيق اتفاقية الحكم الذاتي ، وحل المشكلة ، كتب البرزاني إلى كيسنجر مامعناه أنهم سينفذون اتفاقية الحكم الذاتي ، لأنها أفضل شروط حصلوا عليها ولكن إذا كانت أميركا تنصح بمواصلة القتال ، وتتعهد بمساعدته حتى تحقيق الإنفصال ، فهو مستعد لإستئناف القتال!

ورد كيسنجر : إستانفوا القتال ، وسنساعدكم حتى النهاية!

وإستؤنف القتال وقتها بضراوة هائلة . . . حتى جاءت لحظة التقى فيها صدام حسين مع شاه إيران في الجزائر ، واتفقا على حل مشاكل العراق وإيران ، وفي مقدمتها إغلاق إيران حدودها مع البرزاني وإيقاف تسرب أي مساعدات إليه! . . .

وإنهارت مقاومة البرزاني الذي فوجىء بتغير الموقف الإيراني . وأرسل سلسلة من برقيات الإستغاثة إلى كيسنجر :

– لقد طلبتم مني إستئناف القتال والآن تخليتم عني فجأة دون سابق إنذار ماذا أفعل؟

. . لا رد !

– أنقذونا بأي مساعدة! قواتي تنهار وتتمزق!

. . لا رد!

– إنني قابل بشروط الحكم الذاتي نظير وقف القتال . فقط إنقذوا ماء وجهي بأن تجعلوا دولة عربية تتوسط بيني وبين حكومة بغداد ، وسأقبل شروطها فوراً !!

. . لا رد !

- أنقذوا جنودي وشعبي . سأترك العراق ولكني أريد إيقاف إراقة الدماء . تدخلوا بأي جهود إنسانية !

. . لا رد من كيسنجر !!

وأثار نشر النصوص ضجة . وأجريت في أميركا تحقيقات حول تسريبها . ولكن أحداً لم يذكر الحقيقة : إن كيسنحر وزير خارجية أميركا حرض البرزاني على القتال ، ووعده بشتى الوعود ، فلما إستغنى عنه تركه يلقى مصيره»(١٣) . ثم تكررت المأساة مع أصحاب الإنتفاضة المزعوفة عام ١٩٩١ ولم يستفد مسعود البارزاني من تجربة والده شيئاً ، وهو أعرف وأدرى بحقيقة ما تكتبه هنا ولا يستطيع تكذيبه بل هو نفسه متألم ويتهم أميركا بأنها باعت الأكراد .

عالم . . من غير كيسنجر . .

وتحت عنوان «عالم بغير كيسنجر» كتب محمد حسنين هيكل الكاتب والمؤلف المرموق . وهو من تعرف إطلاعاً على أسرار وخفايا العلاقات الدولية حتى أصبح مرجعاً يعود إلى كتاباته كل من يريد تغطية أحداث المنطقة بمراجع موثوقة موثقة . كتب في جريدة «الأنوار» اللبنانية تحت عنوان : «عالم من غير كيسنجر» معقباً ودارساً للتدخل الكيسنجري في المسألة الكردية وإستنفار ملا مصطفى لمعاودة القتال بعد توقيعه شخصياً على إتفاقية ١١ آذار والإنكفاء عليها» .

يقول هيكل : «وأصل أخيراً إلى قصة لفتت نظري ، فقد كانت معبرة إلى أقصى حد عن أسلوب كيسنجر في التعامل مع العرب ، ومن سوء الحظ أن أحداً في العالم العربي لم يدرس هذه القصة بشكل كاف ، ولا أعطاها ما تستحقه من عناية بإعتبارها نموذجاً يمثل أسلوب كيسنجر في إدارة وحل أزمات الصراع في العالم العربي .

والقصة التي أعنيها هي قصة هنري كيسنجر مع الأكراد في العراق(*) .

إن مستندات هذه القصة ووثائقها السرية - بما في ذلك ماصدر عن وزارة الخارجية أو وكالة المخابرات المركزية الأمريكية - موجودة كلها وبالكامل في ملفات وتقارير اللجنة

---

(١٣) أحمد بهاء الدين في حديث لمجلة «المستقبل» الباريزية المحتجبة العدد ١٢٤ تاريخ ٧ تموز ١٩٧٩ .

(*) يعيد هذا الكتاب نشر القضية بكاملها كما حققها ونشرها الاستاذ محمد حسنين هيكل ونضعها بين ايدي الرأي العام الكردي . . . وبتصرف مسعود البارزاني عسى يتخذ الموقف الصعب والصح تكفيراً عن الماضي وخدمة للشعب الكردي إذا كان حريصاً على خدمة هذا الشعب المذل المهان على أيدي بعض أبنائه .

الخاصة التي شكلها الكونجرس الأمريكي برئاسة (أوتيس بايك) عضو الكونجرس الأمريكي عن ولاية نيويورك للتحقيق في النشاط السري لأجهزة المخابرات الأمريكية» .

يتابع هيكل :

«وكانت هذه اللجنة الخاصة قد قدمت تقريرها إلى الكونجرس بتاريخ ١٩ يناير/ كانون الثاني/ ١٩٧٦ ، ولكن الرئيس فورد بعث برسالة إلى الكونجرس يعترض على نشر تقرير اللجنة ، لأن نشره سوف يكون مدمراً لمصالح عليا تحرص عليها حكومة الولايات المتحدة ، وكانت رسالة فورد إلى الكونجرس بتوصية من هنري كيسنجر عززتها المؤسسة الأمريكية كلها . وبالفعل فإن الكونجرس في جلسة عقدها بتاريخ ٢٩ يناير/ كانون الثاني/ ١٩٧٦ وافق على حجب نشر تقرير لجنة «بايك» بعد موافقة السلطة التنفيذية على النشر نظراً لحساسية المعلومات الواردة فيه ، ولأنها تكشف تفاصيل كثيرة عن خبايا النشاط السري الأمريكي في مناطق توجد فيها مصالح أمريكية حساسة ودقيقة .

وبرغم هذه الاحتياطات كلها فإن تقرير لجنة «بايك» نشر بالكامل في أحدى صحف الرفض التي تصدر في قرية جرنيتش قرب نيويورك واسمها «صوت القرية» .

ولكن أجهزة الأمن الأمريكية حاولت جمع كل أعداد هذه «المجلة» ، كما أن الصحفي الذي سرب نسخة التقرير إليها قدم للمحاكمة .

إن الجزء الخاص بقصة كيسنجر مع الأكراد في العراق موجودة في تقرير لجنة «بايك» في القسم (ج) ، عنوانه «ثلاث مشروعات» ، وهذا الجزء الخاص بالأكراد يرد في فصل مستقل من هذا القسم بعنوان «الحالة رقم ٢ : مساعدة بالسلاح» .

«يبدأ هذا الجزء برسالة من قائد محطة المخابرات المركزية في إيران إلى مدير الوكالة في واشنطن ، تفيد بأن الملا مصطفى البرزاني اتصل طالباً المعونة الأمريكية في حربه ضد حكومة العراق ، وإن هذه الحرب تساعد الولايات المتحدة لأن حكومة العراق تتعاون مع الاتحاد السوفيتي . (كانت هذه الرسالة في أغسطس/ آب ١٩٧١)(*) .

– عاد الملا مصطفى البرزاني فجدد إتصاله بقائد محطة المخابرات المركزية في إيران ملحاً في إجابة مطالبه بالمساعدة ، وعاد قائد المحطة فكتب إلى رئاسته في واشنطن مؤيداً ومبرزاً

(*) أي بعد توقيع الملا اتفاقية الحكم الذاتي .

أهمية مساعدة الملا مصطفى . (كانت هذه الرسالة الثانية في مارس/ آذار ١٩٧٢) وقد حولت رسالة أغسطس/ آب ١٩٧١ ورسالة مارس/ آذار ١٩٧٢ إلى «لجنة الأربعين» التي تشرف على كل النشاط السري لأجهزة الأمن الأمريكية ، والتي يرأسها الدكتور هنري كيسنجر بوصفه مستشاراً للرئيس للأمن القومي ورئيساً لمجلس الأمن القومي ذاته . وقامت اللجنة ببحث الرسالتين ، ولكنها لم تقرر شيئاً ، أو على الأقل لم تسجل ملفات اللجنة أنها توصلت إلى قرار .

– في شهر مايو/ أيار ١٩٧٢ كان الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون يزور طهران ومعه الدكتور هنري كيسنجر ، وفتح شاه إيران بنفسه مع الرئيس الأمريكي موضوع المساعدة للأكراد وقال أنه :«وعد الملا مصطفى بأن الولايات المتحدة سوف تساعده» ، وقال أنه قدم هذا الوعد (كصديق) ، وإنه من الضروري للولايات المتحدة أن تعزز وعده عملياً ، ثم قدم الشاه في الاجتماع للرئيس الأمريكي قائمة بالأسلحة التي يحتاجها الملا مصطفى ، ووعده الرئيس نيكسون ببحث القائمة (بروح إيجابية) فور عودته إلى واشنطن .

– في أول شهر يونيو/ حزيران ١٩٧٢ أصدرت الحكومة العراقية قرارها المشهور بتأميم بترول العراق .

– في ١٦ يونيو/ حزيران ١٩٧٢ ، وفي اجتماع خاص بين نيكسون وكيسنجر ، تقرر الموافقة بسلطة الرئيس على مساعدة الأكراد ، وتقرر اعتماد ستة عشر مليون دولار لتغطية نفقات الشحنة الأولى من الأسلحة الأمريكية للأكراد ، وتقرر إرسال مبعوث خاص هو المستر جون كونالي – الذي أصبح فيما بعد وزيراً للخزانة مع نيكسون – وكان في ذلك الوقت محامياً لعدد من شركات البترول – إلى طهران لكي يتولى بنفسه إبلاغ شاه إيران بقرار الموافقة على مساعدة الأكراد وبقرار فتح الاعتماد لتغطية نفقات الشحنة الأولى .

– لم تعثر لجنة (بايك) على مايفيد بأن هذا القرار عرض على (لجنة الأربعين) وبالتالي فإن حيثيات القرار لم تكن مسجلة بالكامل على ورق ، ولكن تقرير (لجنة بايك) يقول بالحرف في العمود الأول من صفحة ٨٥ ما يلي :

«إن الأدلة التي تجمعت لدى اللجنة توحي بأن القرار أتخذ بالدرجة الأولى كمجاملة لحليفنا في إيران الذي كان يتعاون معنا بإخلاص ، والذي كان يعتقد أن الخطر يتهدده من جاره في العراق . ولقد كان العداء بين الاثنين تقليدياً ، ولم يكن اختلافهما أساساً في الاتجاهات العقائدية ولكن أيضاً في العلاقة مع الولايات المتحدة الأمريكية» .

– وتتساءل (لجنة بايك) عن هدف الولايات المتحدة ومطلبها، وهنا تبرز نقطة مذهلة حين يقول التقرير :

إن هدف الولايات المتحدة بمساعدة الأكراد لم يكن تمكينهم من إحراز إنتصار يمكن لهم بعده أن يحصلوا ولو على حق الاستقلال الذاتي .

إن حصول الأكراد في العراق على هذا الحق يمكن أن يؤثر على أكراد إيران، وهذا يسبب مشاكل للشاه .

وبالتالي فلقد كان المطلوب هو ضبط حد المساعدة للملا مصطفى بحيث يظل دائماً على مستوى معين . مستوى يستطيع عنده إستنزاف قوة الجيش العراقي وإنهاك أسلحته وقياداته وأفراده، وفي نفس الوقت مستوى لايستطيع معه إحراز إنتصار مؤثر يحقق الاستقلال ويؤثر على أكراد إيران .

– وتشير لجنة (بايك) إلى أن قائد محطة المخابرات المركزية في طهران علم في أكتوبر/ تشرين أول ١٩٧٣ بأن اسرائيل التي كانت على اتصال بالملا مصطفى راحت تلح عليه في إنتهاز فرصة تحرك الجيش العراقي إلى سوريا للمشاركة في حرب أكتوبر، لكي يقوم هو أي الملا مصطفى بهجوم عام في شمال العراق! .

وجرى بحث تقرير قائد محطة طهران في لجنة الأربعين برئاسة كيسنجر «إن الملا مصطفى قد لجح في هذه الظروف بأكثر مما هو مناسب لمصالحنا» – بالتالي فقد بعث كيسنجر إلى الملا مصطفى برسالة ينصحه فيها (بعدم استغلال الفرصة) ولكنه لم يقل له السبب الحقيقي وراء هذه النصيحة واكتفى بأن يقول له «أنني أخشى أن يؤدي ذلك إلى تعقيد مشكلتكم»(*)!! .

– في شهر فبراير/ شباط ١٩٧٤ بحثت لجنة الأربعين طلبات جديدة لمساعدة الأكراد وتقرر مبدئياً اعتماد خمسة وعشرين مليون دولار جديدة لشراء أسلحة من بلد شيوعي عن طريق طرف ثالث لكي ترسل إلى الأكراد .

وكان بين مبررات اللجنة التي رأسها كيسنجر : «إن مساعدة الأكراد في هذه الظروف على تكثيف نشاطهم ضد العراق مفيد لأن الحكومة العراقية تشدد معارضتها ضد اتفاقيات

(*) قدم كيسنجر نصيحة للملا بأن يوقف القتال مع العراق حتى لايستثير العرب بشكل ينعكس عليه مستقبلاً واستمع الملا لنصيحة كيسنجر وأوقف القتال مع جيش العراق خلال مشاركة هذا الجيش سورية في الجولان خلال حرب تشرين الأول /أكتوبر/ ١٩٧٣ .

فك الاشتباك التي يعمل لها الدكتور هنري كيسنجر لحل النزاع في الشرق الأوسط بسياسة الخطوة خطوة، وتكثيف نشاط الأكراد ضد الحكومة العراقية من شأنه أن يشغل هذه الحكومة بمشاكلها عن معارضة سياسة الولايات المتحدة»!!.

– في مارس/ آذار ١٩٧٥ توصلت إيران والعراق إلى اتفاق كان من شأنه أن توقف إيران كل مساعداتها للأكراد وأن تمنع أية أمدادات عن طريق أراضيها، وأن تغلق حدودها في وجه التحركات الكردية بعد مهلة معينة.

ويصرخ تقرير لجنة «بايك» عند هذا الحد ويقول: «لقد كانت سياستنا غير أخلاقية إزاء الأكراد، فلا نحن ساعدناهم ولا نحن تركناهم يحلون مشاكلهم بالمفاوضات مع الحكومة العراقية... لقد حرضناهم ثم تخلينا عنهم».

هذا ماتقول به وثائق الكونجرس الأمريكي، وهو مخيف بالنسبة لنا:

– دخل كيسنجر لمساعدة الأكراد مجاملة لإيران.

– بعد تأميم العراق لبترولها أصبح هدفه من مساعدة الأكراد إستنزاف العراق.

– مساعدته للأكراد مضبوطة عند حد معين لايمكنهم من تحقيق أي إنتصار «لأن ذلك ضار بمصالح إيران، ولايمكن الجيش العراقي من سحق تمردهم»، أي أن الهدف أستمرار الحرب وأستمرار نزيف الدم والموارد.

– طلب كيسنجر إلى الأكراد تكثيف نشاطهم ليشغل العراق عن معارضة اتفاقيات فك الارتباط.

تخلى كيسنجر عن الأكراد لكي يترك العراق – في رأيه يتفرغ لسوريا، لأن سوريا رفضت المرحلة الثانية من فك الاشتباك!!. ولم تنته القصة عند ذلك الحد في الحقيقة، وإنما كانت لها ذيول لم يلحق بها تقرير لجنة (بايك).

كانت المخابرات الأمريكية قد إشترت أسلحة شيوعية بخمسة وعشرين مليون دولار، وكان من المقرر إرسالها ليحارب بها الأكراد ضد حكومة العراق. لكن الحرب الكردية إنتهت والأسلحة الشيوعية مازالت تحت تصرف وكالة المخابرات المركزية الأمريكية»[١٤] انتهت تحقيقات هيكل.

ونحن نسأل كل كردي بعد هذا هل أن أمريكا تعطف على الأكراد أم تستغلهم كما

---

(١٤) محمد حسنين هيكل من حديث نشرته جريدة «الأنوار» اللبنانية العدد ٥٨٢٩ تاريخ ١٩٧٧/٢/١١ تحت عنوان «عالم بغير كيسنجر».

إستغلتهم إنكلترا من قبل وكما استغلت إيران بعض الأكراد أيام الشاه ومابعد الشاه للعداء للأمة العربية وحملهم السلاح ضد العراق في حرب الخليج؟ .. وهل سمع كردي واحد أن العراق زج بالمسألة الكردية وبالشبان الأكراد للتشويش في تركيا وإيران؟ .. أبداً فهذا ليس من أخلاق العرب وليس من حسن السياسة . ولانعني هنا مايتعلق بالتعاطف مع أكراد تركيا وإيران ودعم مواقفهم ومواقعهم النضالية للحصول على حقوقهم القومية لاسيما حزب العمال الكردي التركي [P. K. K] بقيادة المناضل البطل الكردي عبد الله أوجلان .

هذه الصفحة الدامية كانت آخر صفحة يخط سطورها ملامصطفى الذي مضى وانقضى ولم نعد نملك إلا التمني على أنجاله وورثته أن يتعظوا من مسيرة الوالد الفاجعة التي لم تكن تخلو من البطولة والشجاعة والبذل في سبيل كوردستان حرة واحدة موحدة ... أخطأ الملا في بعض الحسابات فتورط هذا شأن آخر أصبح ملك التاريخ من حيث التقييم .

مع مسعود البارزاني

إذا كان هذا ماحصده ملا مصطفى القائد الكردي التاريخي الراحل فما الذي حصده نجله مسعود من بعده؟ .. هل التعامل مع أمريكا التي خانت والده وغدرت به كان أفضل من مواصلة الحوار مع بغداد(*)؟ ... لقد دخلت واشنطن على خط الحوار واستجرت «أبو مسرور» ورفاقه إلى مستنقع «الإنتفاضة» المزعومة والقضاء على جميع المكاسب التي حققتها تجربة الحكم الذاتي السياسية والاقتصادية والثقافية والاعمارية على مدى قرابة عشرين عاماً من دون أن تقدم بديلاً أفضل ، بل قدمت المزيد من الخراب والفواجع على مستوى الأرض والانسان .. وها هي الحقائق مكشوفة عارية تشير بأسى إلى المسؤولين المباشرين وغير المباشرين على مدى قرابة عشرين عاماً من خداع الذات ، فلا خلاص إلا بالعودة للدولة الشرعية بهذا الشكل أو ذاك أو أن كوردستان وشعبها نحو مزيد من السقوط والانهيار .

(*) «إن حنيني إلى بغداد عال جداً ، ولحد الآن المدينة المفضلة عندي في العالم هي بغداد ، وإذا كان لي الخيار لأعيش في مدينة ، فسأختار بغداد ... ترعرعت في بغداد ، درست في بغداد ، عشت في بغداد ، ولذلك علاقتي مع بغداد هي علاقة خاصة» .

مسعود البارزاني

في حديث صحافي - «السفير» اللبنانية ١٩٩٤/٨/٢

تاريخ الملا . . بأقلام الاميركان

سنسجل هنا ماأورده الآخرون عن ملا مصطفى على قاعدة «وناقل الكفر ليس بكافر» لأننا كعرب أو أنني كمؤلف صديق للشعب الكردي لا أسمح لنفسي أن أخط حرفاً واحداً أتقصد فيه الإساءة إلى الملا . وهذا ليس شأني أو أنه أمر لا يعنيني ، ومع ذلك أحسب أن ما أنقله هنا فيه فائدة للشعب الكردي ليطلع على الحقائق بعيداً عن الزيف والدعايات الكاذبة التي تريد أن تحمّل العراق المسؤولية عما آلت إليه أمور كوردستان من انحدار ، بينما المسؤولية تقع على عاتق ملا مصطفى بالذات عندما أغراه «كيسنجر»(*) بالتخلي عن اتفاقية آذار للحكم الذاتي على نحو ما يوضحه هذا الكتاب ، ثم ما كان من استجابة أصحاب «الانتفاضة» المزعومة بعد عشرين عاماً للإغراءات الاميركية نفسها وما كان من حملهم السلاح ضد الدولة العراقية العربية - الكردية ، واعلانهم الانفصال أو شبه الانفصال على شكل إقامة حكومة وبرلمان عام ١٩٩٣ أصبحا فيما بعد - أي بعد سنة وبعض السنة فقط - اضحوكة العالم ، ولكن معظم أطراف الانتفاضة إن لم يكن كلهم هم أصحاب ماض موغل بالتعامل مع الاميركي وحتى الاسرائيلي .

ولقد صدرت كتب ونشرت كتابات بأقلام كتاب اجانب فضحت المخفي . واقرب كتاب بين ايدينا هو كتاب «جوناثان راندل» الاميركي تحت عنوان «أمة في شقاق - دروب كوردستان كما سلكتها» وجعله موثقاً بالوقائع والأرقام والاستشهادات وقد امضى سنوات مع الاكراد في كوردستان ، وكانت له لقاءات مع الملا ومع معظم أشياعه وغيرهم .

نقل راندل في كتابه على سبيل المثال ما قاله له عصمت شريف الداعية الكردي المعروف وكان من اقرب المقربين للملا في الخمسينات والستينات . . . يقول عصمت : «يؤكد منتقدو البرازاني أنه غادر كوردستان وفي حوزته ٧٠ مليون دولار» - ص ٤٤١ من الترجمة العربية - وجاء في الكتاب أنه في ٢٩ أيلول ١٩٨٠ اعترف رئيس الوزراء الاسرائيلي مناحيم بيغن بأن اسرائيل قدمت أموالاً واسلحة للأكراد وقامت بتدريب مقاتليهم ، وكان هذا التصريح أول اعتراف يدلي به مسؤول اسرائيلي . الأمر الذي أغضب «الموساد» أي جهاز المخابرات .

(*) المقصود هو «هنري كيسنجر» وزير خارجية أميركا على عهد الرئيس «نيكسون» في السبعينات

وقد كشفت الصحف الاسرائيلية الصادرة في ٣٠ ايلول ١٩٨٠ أن الجنرال البارزاني قام خلال الستينات ومطلع السبعينات بزيارات عدة إلى اسرائيل» - ص ٤٤٢ من الكتاب المذكور في ترجمته العربية . .

واستذكر هنا بأن جلال الطالباني فضح هذه الامور في تصريحات صحافية من سابق . . أي فضح علاقات الملا واعوانه مع اسرائيل ولم يصدقه كثيرون آنذاك مستبعدين أن يتصل الشيخ المسلم وريث الطريقة النقشبندية أو يضع يده بيد اليهود ضد اخوانه وأهله العرب .

• • • • • • •

طبعاً لسنا نحن من نكتب أو نتحدث هنا بل «الاميركان» أو الانكليز اصدقاء ملا مصطفى وأصدقاء خلفائه . . . هؤلاء الاكراد الذين آثروا أن يكونوا قريبين من الاميركي البعيد . . . بعيدين عن العربي القريب . . . وكيف قبلوا اجراء المصالحة فيما بينهم برعاية أميركا وفي واشنطن وكان ذلك في أيلول ١٩٩٨ وهي مصالحة تمت تحت ضغط أميركا ولن تثمر شيئاً لأن ما بني على فاسد هو فاسد ، وأقصد هنا كل البناء الهش الذي أقامه زعماء الانتفاضة المزعومة على أرض كوردستان .

إن الأجانب هم الذين تحدثوا وننقل عنهم ماكتبوه واذاعوه حول الملا من فضائح وتحالفات سياسية وتعاون مع اسرائيل في أسوأ المراحل التاريخية التي مرت بها أمتنا العربية وشعوب المنطقة .

لقد فضل الملا أن يضع يده في يد البريطاني منذ بداياته ، وأصابه منهم النفي والعذاب بين ١٩٤٦ - ١٩٥٨ على أيديهم آنذاك ولم يعد من غربته إلى الوطن على يد البريطاني فيما بعد بل على يد العربي وحده بعد هروبه وغربته منذ عام ١٩٤٦ على يد حلف بغداد واصحاب الحلف من بريطان واتراك وحلفائهم نوري السعيد وعبد الاله وفاضل الجمالي وصالح جبر ومن لف لفهم .

ولم يعد إلى العراق وكوردستان إلا بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ التحريرية وما اصابه من عفوها وسمحها وهي الثورة التي قضت على الحلف وأهله(*) . وبدلاً من أن يضع يده في يد

(*) غادر ملا مصطفى العراق مع رهط من أعوانه لدعم حركة مهاباد في كوردستان إيران عام ١٩٤٦ ولم يتمكن من العودة للبلاد في مرحلة حلف بغداد ليبقى حكم نوري السعيد ومرحلته تعيش في وضع أمني مستقر بدعم بريطانيا وأطراف الحلف . ولجأ الملا إلى الاتحاد السوفييتي حتى عام ١٩٥٨ وقيام ثورة ١٤ تموز في العراق ذلك العام . . وعلى نحو ما هو مفصل في هذا الكتاب .

الثورة واهلها العرب فقد انقلب عليها وعليهم جميعاً ورفع السلاح ، متحالفاً مع كل عدو للأمة العربية من حوله . . . لماذا؟ والسؤال : ترى هل ساعده هؤلاء الاعداء وعوضوه عما ادعاه من ظلم اصابه على يد العربي العراقي؟

لم يشأ الملا أن يضع سلطته وحجمه واهله وشعبه الكردي في خدمة الوطن العراقي العربي - الكردي للنهوض به وبكوردستان وتعزيز ازدهار وطنه ودعم قوته ، وإقامة اطيب العلاقات مع الأمة العربية مواصلاً خطوته الملفتة عندما زار القاهرة والتقى الرئيس العربي الراحل جمال عبد الناصر ، بل بدأ يعد العدة للعودة إلى مانشأ وشب عليه من حمل السلاح هناك في شعاب الجبال ضد بغداد لإشغال الوطن العراقي الناشىء وجيشه الفتي في معارك جانبية وبتحريض ودعم خارجي . وليت هذا الدعم كان من أجل حصول الشعب الكردي على حقوقه إذن لعذرناه ، لكن الدعم كان لإيذاء العراق وجيش العراق وأمة العرب والاسلام .

الاتصالات مع الانكليز

وسنوضح هنا أنه منذ بداياته أقام الملا أفضل العلاقات مع المحتل البريطاني بينما أقام أسوأها مع جيرانه واهله العرب . . لماذا؟ . . وها هي مسطرة ومسجلة تلك العلاقات من أيام ذلك الزمان . . أي منذ اعوام الثلاثينات والاربعينات وكيف كان الملا يتهافت على الانكليز .

أرسل الملا الرسالة التالية في نهاية عام ١٩٤٣ إلى مستشار وزارة الداخلية في العراق الميجر اندموندس[١] .

بعد التحية وتقديم احتراماتي اللائقة لفخامتكم.

المعروض لفخامتكم أن كتابكم المرسول بتاريخ ١٩٤٣/١١/٣ وصلنا وخليناه فوق رأسنا، وما نرجوه إلا لطفكم وما نريد إلا رضائكم، ولكن الامر الذي وصلنا هو موت في ذل عظيم. نسترحم ثم نسترحم من فخامتكم الكرام بقبول عذرنا ... إلخ.

المخلص الصادق للخدمة

برزاني ملا مصطفى

---

(١) عن كتاب (الآفاق - عزيز الحاج - ص ١١٥) .

فخامة مآب سفير الجلالة البريطانية العظمى

السيد كناهان كرنواليس المحترم

بعد التحية واحترامات اللائقة مقامكم العالي

لابد موجود في ذهنكم الوقاد وطبعكم النقاد في يوم الذي حضرت في خدمتكم شخصياً وبمشاهدة سكرتير مستر كابتان هولد، وجدت مسترحما من جلالة البريطانيا العظمى وعدالتكم المشهورة... إلخ (٢) .

١٩٤٤/٢/٩

المخلص برزاني

برزان ١٩٤٤/٩/١٦

صاحب الفخامة سفير امبراطور بريطانيا العظمى لدى الحكومة العراقية

السيد كيننغهام كرنواليس

نعرض لمقامكم السامي

أمرتنا بلزوم اتخاذ الهدوء والسكينة، فعملاً بهذا الشأن اجرينا امركم لحد الآن واليوم وقد اضطرينا الالتجاء لدى عدالتكم مبيناً في كتابي هذا عسر حالنا إن وقت الكسابة والفلاحة قد فات. ونحن بأشد الحاجة إلى معاونة الحكومة لنا بأي صورة كانت لذا نسترحم من سيمتكم الكريمة قبول رجائنا في اقرب وقت ممكن لكي لا يفوت منا وقت الفلاحة والكسابة فنرجوكم بإعطاء الامر لمساعدتنا... إلخ (٣) .

المخلص

• • • • • • •

هذه نماذج من رسائل قديمة وجهها الملا منذ بداياته للجهات المحتلة وكان سهلاً عليه أن يضع يده بيد الحكومة في بغداد واعوانها في الشمال وهي حكومته ودولته ، لكنه فضل أن

---

(٢) المصدر السابق «عزيز الحاج» .

(٣) المصدر نفسه «عزيز الحاج» .

يتوسط الانكليز وحدهم . ثم تنكروا لـه كالعادة لاسيما وأن حكومـة بغداد كـانت حليفة لبريطانيا آنذاك وتربطها معها معاهدة ثنائية .

لـم ينطلق الملا منـذ بداياته علـى شـكل ثورة حقيقيـة ، بل قاد عمليات عصيان مسلح قوامهـا بعض اهلـه وجيرانـه وليس الشـعب الكردي . . . وكـانت تدفعـه إليهـا الجهـات البريطانية كعـامل ضغط كلما لمست مـن حكومة بغداد تحركاً وطنيـاً . ولكن بعد أن امسك نوري السـعيد بالدفـة تماماً وبدعم الوصي الأمير عبـد الاله وأصبح العراق عضواً في حلف بغداد إلى جـانب بريطانيا وسائر الحلفاء تبدلت الامور تماماً ووقف الانكليز كلياً ضد الملا ثم جعلوه خارج البلاد ، ولـم تعد تطلق رصاصة واحدة في جبال كوردستان إلى أن عاد الملا إلى العراق عام ١٩٥٨ بقرار من حكومـة الثورة كما اسـلفنا ، وبعد شهور فقط بدأ يعد نفسه لرفع السـلاح وبتحريض خـارجي على مـا نحسـب لأن تلـك الثورة سـحبت العراق من حلف بغداد ، والغت المعـاهدة مع بريطانيا ورفعت شـعارات قوميـة تقدمية معاديـة للحلف واهله ، فكان لابد مـن التآمر عليها على يد الملا كما كان يحدث من استعانة بريطانية به للتشويش والضغط على بغداد في الثلاثينات والأربعينات .

عـودة إلـى جـوناثان رانـدال

ونعود هنـا ثانيـة للمؤلف الأميركي «جوناثـان رانـدال» الـذي تعرت الأمـور كلها على يده وهو الذي تظـاهر بصداقـة الأكراد وفتحـوا لـه بيوتهم وجعلـوه يدرس الحقـائق على الأرض مباشـرة ، ولـم يعد بإمكـان أحد تكذيبـه او اتهامه بـالتجني . . . إنه امـيركي يفضح الأسـرار وتفتح أمامـه الأبواب المغلقـة من دون أن يوفـر أحداً مـن الأكراد أو الأميركـان أو اليهـود أو العرب والفرس والترك . تحدث عن الجميع بالشكل الذي بدأ فيه كتابه موثقاً وعادلاً أحياناً ، واوضح كيـف أن جميـع الجهات المعادية للعرب اسـتخدمت الاكراد بل ملا مصطفى تحديداً في الكيـد لهم والتآمر علـى قضاياهم ، واشـغالهم وانهـاكهم في مسـائل جانبيـة توظـف في خدمة اسرائيل .

كتب جوناثـان يقول تحت عنـوان «جمعيـة كيسـنجر الخيريـة» في صفحـة ١٩٩ من الترجمة العربية لكتابه المذكور(*) :

(*) كتاب جوناثـان أمة في شـقاق - دروب كوردستان كـما سلكتها (٤٥٠ صفحـة - صدرت ترجمته العربية عن دار النهار في بيروت عام ١٩٩٧ ترجمة فادي حمود» صدر الكتاب بالانكليزية .

« . . كان أكراد العراق ، اداة يمكن استخدامها لتحقيق هدف الشاه بإضعاف خصمه الرئيسي – أي العراق – والاستغناء عنها عند الضرورة .

وكان الشاه يريد من الاكراد أن يستأنفوا القتال لإضعاف بغداد ، وهذا ماتحقق في شهر آذار من العام ١٩٧٤ ، بفضل نيكسون وكيسنجر إلى حد بعيد» .

«تقاطعت رغبة الشاه هذه ، مع رغبة مماثلة لدى الاسرائيليين الذين يسعون دوماً إلى إبعاد العراق عن النزاع العربي – الاسرائيلي . . . لكن الشاه كان يدرك أن البارزاني لايثق به ، سيما وأنهما يعرفان بعضهما منذ زمن بعيد . وكان الشاه يدرك مدى ثقة البارزاني العمياء بالولايات المتحدة ، ويأمل في ضمان تأييد واشنطن لفكرة إعادة إشعال التمرد الكردي . وقد اوقع البارزاني نفسه في الفخ ، من خلال إلحاحه الدائم على العاهل الإيراني والاسرائيلي لفتح قناة اتصال مباشر ما بين الاكراد والولايات المتحدة ، وهو أمر سعى الشاه دوماً إلى تحقيقه على الرغم من الرفض الأميركي الدائم الذي لقيه» .

«بعد بضع سنوات ، قال كيسنجر : كانت استراتيجيتنا واضحة ، وتقضي بإضعاف أي بلد مرتبط بالاتحاد السوفييتي ، لذلك ، وبما أن السوفيات أقاموا علاقات عسكرية مع العراق ، بتنا مستعدين لتقبل فكرة مساعدة الأكراد» .

ثم يشرح جوناثان كيف ارتبط الملا مع أميركا والشاه عندما أممت بغداد «شركة نفط العراق» التي تملكها شركات نفط بريطانية وهولندية واميركية وفرنسية ، وتقرر أن يجعلوا الملا ينقلب على اتفاقية الحكم الذاتي(*) .

ويكشف «جوناثان» ماتضمنه التقرير السري الذي اعدته «لجنة بايك» حول العمليات السرية الاميركية في العالم ، وهو التقرير الذي تم تسريبه في العام ١٩٧٦ ، وكيف أن الشاه بالتواطؤ مع اميركا حث البارزاني على استئناف القتال ضد العراق بعد اعلان اتفاقية الحكم الذاتي . وخلص التقرير إلى أن الأكراد «لم يكونوا سوى ورقة بالنسبة إلى طهران وواشنطن ، واداة فريدة ومفيدة لإضعاف قدرة العراق على القيام بمغامرات سياسية دولية» .

ودعونا نتساءل الآن كيف كان أكراد الانتفاضة فيما بعد أي عام ١٩٩١ مجرد «ورقة جديدة وأداة مفيدة وفريدة» لإضعاف قدرة العراق . . . ويبقى السؤال : ترى من هو الذي

(*) اعتاد الأكراد أن يخسروا على طاولة المفاوضات ، كل ما يحققونه من انتصارات في ميدان القتال .
«دايفيد فرومكيث» في تقديمه لكتاب راندال

ضعفت قدراته أخيراً؟ وهاهو العراق مرتفع الهامة قوياً وصاحب تحديات ، بينما انخذل أكراد الانتفاضة وتخاذلوا وتذابحوا ولم يعد من هم للشعب الكردي إلا الخلاص منهم والعودة إلى حضن الوطن العراقي الدافىء .

• • • • • •

يعقب جوناثان بعد ذلك قائلاً : «اليوم ، يمكن القول بأن البرزاني كان ضحية نقاط ضعفه على المستوى الشخصي ، فهو لم يتلق تعليماً عالياً ولم تتجاوز مداركه حدود قناعاته البسيطة ومعرفته بطبيعة شعبه ، الامر الذي دفعه إلى ربط مصير شعبه بسياسة دولة عظمى لاتبالي به ، وقررت بعد طول تفكير ، تقديم خدمة لأحد حلفائها الاساسيين على حساب الأكراد»(*) .

ويعقب المؤلف جوناثان أيضاً بقوله : أما الجنرال البارزاني فقد امضى اعوامه الأخيرة في الخزي والعار ، في البلدين اللذين خاناه ايران والولايات المتحدة الاميركية ، وفي اعتماده على الأجانب ، فالاتكال على القوى الاجنبية يشكل نتيجة مباشرة للمسار الطويل الذي سلكه البرزاني في البداية بحذر في مطلع الستينات ، ثم بخفة شديدة لاحقاً دفعت منتقديه إلى التساؤل عن مدى سلامة تفكيره ، ومدى وطنيته أيضاً» .

نرجو أن يتمعن كل كردي عاقل بهذه الاقوال التي يقدمها لهم صديقهم جوناثان على شكل نصيحة مجانية .

• • • • • •

الحقيقة المرة؟!
حكاية تستوجب النشر

حدثني ذات ليلة وعلى سهرة ثنائية الصديق العزيز «غازي الزيباري» وهو كردي عريق وكان عائداً من السويد في طريقه إلى كوردستان وحط في دمشق المضيافة كالعادة . . حدثني عن تلك الانتفاضات التي أعلنوا عنها في شمال العراق وجنوبه بعد العدوان الأميركي على العراق عام ١٩٩١ وهو محدث لبق وصريح ، ويعتبر من النشيطين الموثوقين في الحزب الديمقراطي الكوردستاني ومن المقربين من قريبه الاستاذ مسعود البارزاني .

(*) يقصد الشاه وإيران .

غازي الزيباري يمثل الكردي النزيه العفيف، والمثقف المؤمن بالأخوة العربية - الكردية ومثله كثرة بين اخواننا الأكراد البارزانيين، لي بينهم اصدقاء اعزاء تميزوا دائماً بالصراحة ومن المعترفين المشهودين بدور العرب في عملية النهوض الكردي في العراق وما وصل إليه اكراد العراق من تميز وتمايز عن اخوانهم في تركيا وايران من النواحي السياسية والثقافية والاقتصادية، والحصول على حقوقهم القومية والسياسية على نحو ما أوضحه هذا الكتاب. أذكر منهم: عز الدين برواوري وآزاد برواري وفلك الدين كاكائي.

حتى أؤلئك الأكراد ممن يتولون مراكز قيادية تفرض عليهم أحياناً أن يلفوا ويدوروا ويناوروا، تجدهم عندما تختلي بهم كأصدقاء في صورة مختلفة تماماً، فهم أشد محبة للعرب من جميع الشعوب القريبة من العرب أو إلى جانبهم، ويعترفون بما حصلوا عليه مع العرب من مكاسب، كما يعترفون بأنه ما من صديق للاكراد كالعرب على وجه الأرض... يعترف بذلك خاصة جلال الطالباني ومسعود البارزاني، والمطلوب أن تكون مواقفهم معلنة وحلفهم مع العرب نهائياً لا عودة عنه تحت أي ضغط أو اغراء خارجي أو للتسويق السياسي.

حدثني غازي الزيباري تلك الليلة وكنا على عشاء وسهرة طويلة في شرفة داري بدمشق، عن اشياء عديدة كثيرة، وكشف عن خلفيات الأحداث في كوردستان وكان حديثه صريحاً مخلصاً وبعضه يعتبر سراً بيننا لا أبيح لنفسي إعادة روايته. وقد صارحني آنذاك عن طبيعة العلاقات بين الاطراف الكردية وتأزمها والمح بأن احداثا مفجعة لابد ستقع إذا بقيت الامور على ماهي عليه «وكان ذلك أواخر عام ١٩٩٣» ثم حدثت فيما بعد أشياء كثيرة مما توقعناه من مذابح وصدامات كردية - كردية.

على أن أهم وأطرف وأصدق مارواه لي الزيباري في تلك الأمسية هو ما استعيده الآن بسبب اهميته، ومدى تطابقه مع الاحداث.. فقد حدثني عن ذلك «الجنرال الاميركي» المسؤول عن أوضاع كوردستان «نسيت اسمه» وكانت مهمته ادارية وأمنية أكثر مما هي

(*) رحل ملا مصطفى ولم يستطع الاستفادة مما اكتشفه من أخطاء وقع فيها، وما أوقع فيه شعبه من مطبات وخيبات أمل وخسارة. لكنه كان شجاعاً عندما أعلن عن أخطائه وتورطه مع الأميركي وغيره، وأوصى أبناءه وشعبه العمل على تجنب التحالف مع أميركا وحلفائها تحديداً... لقد نقد نفسه بشجاعة الرجال.. يبقى أن يستفيد كل كردي من تجربة الملا المؤلمة.

عسكرية عملياتية ، وكيف توثقت الصلة بينهم وبينه على شكل صداقة ولقاءات دورية ، وأنه شخص أميركي محبب واجتماعي .

قال غازي : كنا ذات ليلة نسهر مع هذا الجنرال فبادره احد رفاقنا بالقول : أريد أن أسألك سؤالاً ياحضرة الجنرال راجياً أن تجيبنا عنه بصراحة ، والسؤال هو : كيف أن اميركا الدولة العظمى لم تدعم الانتفاضة في الجنوب ضد الحكم في بغداد ، بل وقفت موقف اللا مبالاة أو موقف المتفرج؟

أجاب الجنرال : إن السؤال في محله تماماً ، ويحتاج إلى جواب صادق مني ، واجيب بأنه من الطبيعي أن اميركا وقفت ذلك الموقف لأنها «دولة عظمى» تتجنب مواضع الذلل أو الفشل . فقد كنا نعرف مسبقاً كيف وأين تجمعت تلك الحشود المسلحة في بلد مجاور للعراق ، وقوامها اعداد من العراقيين الفارين إلى ذلك البلد وهو الذي سلحهم ودربهم وكانوا ينتمون إلى قيادة دينية عراقية لاجئة هناك تتلقى الدعم من ذلك البلد أو تلك الدولة . ولا تستند إلى أية قاعدة شعبية داخل العراق أي في الجنوب(*) .

أضاف الجنرال : وكنا نعرف من هم أبرز القائمين عليها . واعتبرناها قوات خارجية دخيلة سيكون فشلها محتماً ، لذلك فضلنا مراقبة الامور من بعيد لبعيد . وعليكم أن تعرفوا بأن العادة جرت على أن تتجنب الدول الكبرى المشاركة في مشاريع فاشلة غير مضمونة النجاح تؤذي سمعتها وتسيء إلى دورها . . . وأقول بصراحة أنه لو كانت تلك الانتفاضة شعبية محلية حتى لو كانت مدعومة من الخارج لكان حظها من النجاح كبيراً وماكنا لنتردد عن دعمها أبداً . لكنها لم تكن كذلك وفضلنا أن لانتورط في عملية خاسرة مطبوخة في الخارج .

ويسكت غازي الزيباري قليلاً ثم يبتسم ويقول لي متابعاً : لقد كان ذلك الجنرال الأميركي صريحاً وخبيثاً ، وعلى شيء من خفة الظل والدعابة . . . فقد التفت إلينا بعد إتمام جوابه على سؤال رفيقنا وخاطبنا بلغة عربية يتقنها جيداً وبلهجة عراقية تعلمها مع الوقت قائلاً : يا أخوان وأرجو أن تعرفوا شيئاً آخر : «خوش» الانتفاضة «مالتهم» في الجنوب كانت مثل الانتفاضة «مالتكم» في الشمال . . .

(*) طبعاً كان الجنرال صريحاً ودل على اسم الدولة كما نقله إلي الزيباري ، وأنا اغفل الأسماء والتسميات هنا تفادياً للدخول في أية مهاترات .

قال غازي : وانفجرنا كلنا ضاحكين ، وكان الجنرال الخبيث أشدنا ضحكاً للنكتة التي أتت في محلها وعبر فيها عن حقيقة الانتفاضتين أصدق تعبير .

هذا ما حدثني عنه بصراحته المعهودة الصديق الكريم غازي الزيباري وأنا انقل عنه بأمانة معتذراً . ويسرني جداً الإشارة إلى أن ملا مصطفى انتهى نادماً أشد الندم على ما استجره إليه الأميركي من اغراءات كاذبة ، وأبدى شجاعة كبيرة عندما أعلن عن خداع أميركا له وترك وصية لأبنائه بأن يتجنبوا المطبات التي وقع فيها ، والأمل كبير جداً في أن يتعظوا ويعملوا بنصيحة الوالد الراحل الذي عاش شجاعاً محباً لوطنه وشعبه لكنه أخطأ في حساباته ، وهي أخطاء يقع فيها أو وقع فيها كثيرون من الزعماء العرب أيضاً في مهادفتهم للأميركي والبريطاني والتحالف معه ثم مضوا إلى أسوأ نهاية . ونحن هنا لا نهدف للنيل من الملا الراحل أبداً بل لأخذ الموعظة الحسنة ، وعسى يتعظ الأبناء والأنصار ، ليتجنبوا الوقوع بهذه الأخطاء المميتة لهم ولشعبهم ، والاساءة لسمعة الشعب الكردي الشقيق العظيم .

الدكتور منذر الموصلي

دمشق - 2000

❁ ❁ ❁